

﴿ [٤٠] قصة اللص الشيطان ^(١) ﴾

وقعت أحداث هذه القصة الغريبة فى اليمامة التى تقع وسط الجزيرة العربية وتتبع المملكة العربية السعودية .

أما زمان الأحداث فهو آخر القرن الأول الهجرى فى عهد أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك « والحجاج الثقفى » والى العراق والمشرق .

فى ذلك الزمان عاشت اليمامة شهوراً حزينة تمتلى بالقلق والخوف والرعب ... الناس ينامون خائفين ، ويمشون فى الشوارع غير آمنين ، وكل منهم يتوقع أن يكون هو الضحية القادمة .. فالكل مهددون فى أية ساعة من الليل والنهار ... فاللص الغامض ينهب الأغنام والأموال دون أن يردده أحد .

وذات يوم حاول بعض الفتيان الأشداء أن يعترضوا طريقه ويمنعوه من السرقة ويستردوا منه بعض ما نهب .. كان الوقت ظهراً ، واللص الغامض يتحرك فى الشوارع واثقاً من نفسه ، وعندما تصدى له الفتيان قاتلهم فى مهارة وشراسة وسرعة ، ففروا ومن يومها خاف الناس أن يتصدوا له وقالوا : إنه ليس لصاً عادياً ... إنه شيطان فى ثوب لص أو لص من الشياطين ، وحكى الناس عنه حكايات كثيرة غريبة بعضها حدث والبعض الآخر لم يحدث ، وأصبحت حكاية هذا اللص الشيطان على كل لسان .

وانتشر خبر هذا اللص من حى إلى حى ، ومن مكان إلى مكان ، وعمّ الفزع البلاد ، حتى الحراس والخبراء أصابهم الفزع ... ووصل الخبر إلى والى

(١) تسالى اللبلى ، لنشأت المصرى .

البلاد وحاكمها الحجاج والى العراق والمشرق - ومن بينها تهامة - فغضب أشد الغضب ، وكتب إلى حاكم إقليم تهامة يؤنبه لعجزه عن القبض على ذلك اللص الشيطان ، وأمره أن يقتله أو يرسله إليه أسيراً ، وهدد الحجاج حاكم إقليم تهامة بأنه إذا عجز عن القبض على اللص الشيطان فسوف يبدله بحاكم آخر أقوى منه .

وفى الحقيقة أن حاكم اليمامة كان يعرف من هو اللص ، وكان يعرف اسمه .. فهو « جَحْدَر » أخطر لصوص البلاد على الإطلاق .. وكان حاكم اليمامة فى حيرة وضيق لأن رجاله عجزوا عن القبض على « جحدر » .. لكن لما وصل الأمر إلى الحجاج وأحس بأنه قد يعزله ويولى غيره .. بدأ يفكر فى حل حاسم لمواجهة هذه المشكلة .. إن المواجهة مع جحدر تنتهى دائماً لصالحه ، إذن .. لا مفر من اللجوء إلى الحيلة والمكر والخديعة .

اختار الحاكم فتيان أشداء شجعاناً أذكىاء ، واتفق معهم على مكافآت ضخمة إن هم أحضروا له جحدر مقيداً أو مقتولاً ، ودبر معهم خطة الخديعة ، وترك لهم مهمة تنفيذها .

أرسل الفتيان إلى جحدر أنهم ضاقوا بالحياة فى قومهم ، وأن قومهم ضاقوا بهم لأنهم اعتادوا السرقة والنهب ، وأنهم سمعوا بجرأة جحدر وأعجبوا به ومن الخير لهم وله أن يجعلوه زعيماً عليهم يعملون تحت أمره ، وينفذون خطط السرقة التى يحددها لهم ، ثم يعطيهم نصيبهم الذى يرضاه لهم مما سرقوا على ألا يزيد ما يأخذه عن الربع من كل حصيلة ، وعرضوا عليه أن يجربهم بعض الوقت فإن أَرْضَتْه شجاعتهم استمروا معه ، وإلا سرقوا لحسابهم هم فقط .

كان جحدر شديد الثقة بنفسه ولا يتصور أن أحداً يمكن أن يخدعه أو

يغلبه ، فوافق على عرض الفتيان ، وجربهم مراراً وأعجبه حيلتهم وشجاعتهم ، وراح جحدر يحلم بأنه فى أقرب وقت سيصبح أغنى أغنياء اليمامة بفضل جهود وإخلاص هؤلاء الفتية .

ولما تأكد الفتيان أنه أنس إليهم ووثق بهم تأمروا على انتهاز أول فرصة تتاح لهم للقبض عليه .

وسرعان ما أقبلت الفرصة المناسبة ، ففي ليلة من الليالى نام جحدر بين الفتيان مطمئناً إلى حمايتهم له ، ولهذا ألقى سيفه بعيداً قبل نومه وخلع خنجره ، فهو لا يحتاج إلى سلاح ما دام ينام بين أصدقائه ، وكان النسيم منعشاً والأرض ساكنة ، فنام جحدر نوماً عميقاً ، والفتيان ينظرون إليه فى حذر ، وينظرون إلى بعضهم البعض نظرات خاطفة كأنهم يخشون أن يراهم فيفهم ما يدور فى عقولهم .

وأطلق كبير الفتيان إشارة البدء التى اتفق عليها فتحركوا جميعاً فى خفة وحذر وأحضروا الحبال المثينة التى جهزت من قبل وقيدوا يدي جحدر ورجليه بالحبال وشدوا ذراعيه إلى جسمه شداً يكاد يكسر أضلاعه .

وأثناء ذلك صحا جحدر من نومه ونظر حوله فى ذهول ، ووجد أن القيد محكم يستعصى على المقاومة فصمت فى غيظ وكرباء ، وأغمضوا عينيه بقطعة من قماش حتى لا يعرف ما يدور حوله أو الطريق الذى يمشون فيه .. ورغم شدة القيد أفرعهم سكونه الغامض واستسلامه لا بد أنه سيفاجئهم بشيء لم يحسبوا حسابه ، ومضت الساعات ثقيلة وأعصابهم مرهقة متوترة إلى أن وصلوا إلى حاكم اليمامة فرحين فائزين بالمكافأة الكبيرة المنتظرة ، وسعداء لأنهم خلصوا أهلهم أخيراً من هذا اللص الشيطان .

عندما رآهم حاكم اليمامة لأول وهلة صاح منتشياً : الحمد لله ... الحمد لله ... ما أشجعكم أيها الفتيان ... بارك الله فيكم ... أخيراً سيرضى عنه الوالى الحجاج ... ولم يضيع وقتاً وأرسل إلى الحجاج فى الكوفة بالعراق رسالة عاجلة مع بعض الفرسان . يزف إليه النبأ السعيد .

وسمع الناس بسقوط اللص الشيطان فازدحمت بهم الطرقات يترقبون رؤية اللص وهو مكبل بالقيود .

كان الناس يتخيلون جحدرأ عملاقاً ضخماً الجسم ، قوى العضلات ، فلما رأوه نحيف الجسم متوسط القامة صغير الرأس لم يصدقوا عيونهم ... كانوا يتصورون جحدر على هيئة شيطان ، وأرسل الحجاج فى طلب جحدر .. فقل إليه فاجتمع حوله جمع من القادة وكبراء القوم ليروا الجبار الذى صار ذليلاً .

وقف جحدر بين يدى الحجاج ... سأله الحجاج وقد أدهشه ثباته :

● أنت جحدر ؟ .

● نعم .. أنا جحدر بن ربيعة .

● وما الذى دفعك إلى ارتكاب جرائمك ؟ .

● ظلم الزمان ، وجرأة القلب ، وإفلاس الجيب ، وجبن الناس .

دهش الحجاج لجرأة هذا اللص وفصاحة لسانه وصراحته رغم اقترابه من

الموت والهلاك ، واستمر الحجاج فى سؤاله :

● هل تعرف ما هو عاقبة أمرك ، ونتيجة أفعالك !! .

● لو اخترتنى أيها الأمير ... وجعلتنى من فرسانك لرأيت منى ما يعجبك .

● أنت تكون من فرسانى !!! هاهاها ... إن اللصوص لا يحسنون غير

- السرقة والتلصص ، فلا تطمع فى شىء غير الجزاء المحتوم .
- لو جربت حكمتى فى المآزق لوجدت منى ما يسرك .
- سنجربك لنرى .
- أعز الله الأمير ... إننى أقبل بأى شروط للتجربة .
- لكنها تجربة قاسية ، الموت أهون منها
- للأمير أن يأمر بما يريد .
- إنها تجربة فى غير ميدان الحرب المعروف والمألوف .
- أنا مستعد للتجربة .. أية تجربة .
- ليست التجربة مع واحد من البشر .
- حتى لو كانت مع جنى .
- ولا مع جنى .
- أيها الأمير ، أنا فى طاعتك منذ الساعة ، فجرينى بما تريد .
- سألقى بك أمام أسد شرس فتاك ، وليس معك سلاح إلا السيف ، فإن قتلك تكون نلت عقابك ، وإن قتلته عفونا عنك .
- أصلح الله الأمير ... لقد دنا الفرج ، وقرب العفو .
- لا تفرح هكذا ، فهناك مفاجأة فى انتظارك .
- أمر الحجاج بحبس جحدر ، وكانت المفاجأة أن الحجاج أعد لجحدر أسداً شرساً لا أشرس منه ، أمر بمنع الطعام عن الأسد لتجويعه لمدة ثلاثة أيام حتى لا يقلت منه جحدر
- وجاء يوم الصراع ... وعرف الناس به ، وكان يوماً قائظاً شديد الحرارة ،

لكن الناس حضروا ولم يبالوا بالحر في زحام كبير ، كما حضر الحجاج وقواده ووزراؤه هذا المشهد النادر ... ورغم كراهية الناس لجحدر لكنهم أشفقوا عليه من مواجهة الأسد ، فلا بد أن الأسد سيلتهمه إلتهاماً بعد ثلاثة أيام من الجوع ، فياله من منظر مروع .

أشار الحجاج إشارة فأخرجوا الأسد إلى مكان الصراع ومشى الأسد يبحث في غرور عن طعامه القادم ، كان الأسد ضخماً ، كبير الرأس ، حاد الأنياب ، محمر العينين ، معروف بضحاياه الكثيرة من الناس والحيوانات ، عندما رآه الناس ذعر أكثرهم وأيقنوا أن جحدر النحيل لن يقف أمام هذا الأسد لحظات معدودة يصير بعدها عظماً وحطاماً .

وأشار الحجاج إشارة ثانية ، فأحضروا جحدر قد تعرى معظم جسده ، وبيده سيف فأنحنى جحدر أمام الحجاج في ثبات وقوة قائلاً :

● أعز الله الأمير ... هذه ساعة النهاية ، فهل أنال عفوك إذا انتصرت ؟ .

● إن انتصرت عفونا عنك .

وأنزلوا جحدرا إلى حفرة الأسد الواسعة فنزل ثابتاً بلا خوف ولا تردد .. كأنه ذاهب ليصيد غزالاً ، فلما رآه الأسد مقبلاً عليه زأر زئيراً قوياً أرعب الحاضرين المتفرجين فدقت قلوبهم دقاً عنيفاً ، أما جحدر فكان يتقدم إلى الأسد لا يفر ولا يتقهقر ولا يستعطف ، إنه يعتبره مجرد عدو طارئ وسمعه المتفرجون ينشد بصوت قوى جرى .

ليث وليث^(١) في مجال ضنك^(٢) كلاهما ذو قسوة وسفك

(١) الليث : الأسد .

(٢) ضنك : الضيق والشدة .

وعلى غير ما كان يتوقع الجميع بدأ جحدر بالهجوم على الأسد بعد أن أطلق صيحة مدوية ، وحين رأى الأسد ذلك اتجه مسرعاً نحو جحدر وبخفة خاطفة انفلت جحدر من أمام الأسد ، وعندما استدار الأسد باتجاه جحدر كان سيف جحدر في استقبال هجمة الأسد فكانت ضربة مؤثرة لكنها غير قاتلة .

قفز الأسد إلى الوراء ليعيد الانقضاض والهجوم على جحدر وقد آلمه الجرح ففتح فمه وظهرت أنيابه كالسهام ، وفي لحظات تقدم الأسد إلى جحدر فأسرع بضربه في رقبته ضربة قاتلة .

حينئذ كبر الناس وانقلبوا من كره جحدر إلى الإعجاب به ، وتمنوا لو كانت هذه الشجاعة وذلك الذكاء يستفاد منه لخير الناس بدلاً من الإجرام ، أما جحدر فقد مسح عرقه بيده ومشى إلى الحجاج مشية لا كبر فيها ولا زهو ، فصافحه الحجاج وقال له :

ما أشجعك يا جحدر ... إننى أخيرك بين أن تقيم عندى مكرماً وأن أعيدك إلى اليعامة على ألا تؤذى أحداً ويستقيم سلوكك ، فقال جحدر وقد تأكد أن الحجاج سينفذ وعده : أيها الأمير ... أفضل أن أكون معك ، وأعاهدك أن أكون سيفك على العصاة والمجرمين .

وحقق له الحجاج رغبته وأصبح حامياً لأموال الناس وأرواحهم ليكفر عن ذنوبه وآثامه ... وكان يقضى في العبادة والصلاة باكياً نادماً على ما فعل راجياً التوبة من الله الثواب الرحيم ^(١) .

(١) نسالى الليالي ، نشأت المصرى .

﴿٤١﴾ آلى على نفسه أن لا يأكل لحم فيل أبداً^(١)

عن إبراهيم الخواص^(٢) الصوفي رحمه الله تعالى قال :
ركبت البحر مع جماعة من الصالحين ، فكُسر بنا المركب ، فنجنا منا قومٌ
على لوح من خشب المركب ، فوقفنا على ساحل لا ندرى فى أى مكان هو ،
فأقمنا فيه أياماً لا نجد ما نقتاته ، فأحسننا بالموت ، وأيقنّا بـتلفنا من الجوع لا
محالة .

فقال بعضنا لبعض : : تعالوا نجعل لله تعالى على أنفسنا أن ندع له شيئاً ،
فلعله أن يرحمنا فيخلصنا من هذه الشدة .

فقال بعضنا : أصوم الدهر كله .

وقال الآخر : أصلي كل يوم كذا وكذا ركعة .

وقال بعض : أدع لذات الدنيا ، إلى أن قال كل واحد منهم شيئاً ، وأنا
سأكت .

فقالوا : قل أنت الآخر شيئاً .

فلم يجر على لساني إلا أن قلت : أنا لا أكل لحم فيل أبداً .

فقالوا : ما هذا القول فى مثل هذا الحال ؟ .

(١) الفرج بعد الشدة والضيق ، للحازمي .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد الطبري : أحد الشهود ببغداد ، أم النار بالمسجد
الحرام ، أيام المواسم ، وكانت داره مجمع أهل القرآن والحديث ، ترجم له القاضى التنوخي فى
القصة ٧/٦ من كتاب نشوار المحاضرة ، ونقل عنه كثيراً من القصص ، وترجم له الخطيب البغدادي
١٩/٦ .

فقلت : والله لم أتعمد هذا ، ولكنى منذ بدأت فعاهدتم الله تعالى عليه ، وأنا أعرض على نفسى أشياء كثيرة فلا تطاوعنى بتركها ، ولا خطر ببالى شئ أدعاه الله تعالى ، ولا مرّ على قلبى غير الذى لفظت به ، وما أجرى هذا على لسانى إلا لأمر .

فلما كان بعد ساعة ، قال أحدنا : لم لا نظوف هذه الأرض متفرقين فنطلب قوتاً ، فمن وجد شيئاً أنذر به الباقين ، والموعد هذه الشجرة .

قال : فتفرقنا فى الطواف ، فوقع بعضنا على ولد فيل صغير ، فلوح بعضنا لبعض فاجتمعنا ، فأخذ أصحابنا ، واحتالوا فيه حتى شوهه وقعدوا يأكلون . فقالوا لى : تقدم وكل معنا .

فقلت : أنتم تعلمون أنى منذ ساعة تركته الله - عز وجل - وما كنت لأرجع فيه ، ولعل ذلك قد جرى على لسانى من ذكرى له ، هو سبب موتى من بينكم ، لأننى ما أكلت شيئاً منذ أيام ، ولا أطمع فى شئ آخر ، ولا يرانى الله - عز وجل - أنقض عهده - ولو مت جوعاً ، فاعتزلتهم وأكل أصحابى . وأقبل الليل ، فأويت إلى أصل شجرة كنت أبيت عندها ، وتفرق أصحابى للنوم ، فلم يكن إلا لحظة ، وإذا بفيل عظيم قد أقبل وهو ينعر ، والصحراء تتدكدك بنعيره وشدة سعيه وهو يطلبنا .

فقال بعضنا لبعض : قد حضر الأجل ، فتشهدوا ، فأخذنا فى الاستغفار والتسبيح ، وطرح القوم نفوسهم على وجوههم .

فجعل الفيل يقصد واحداً واحداً منهم ، فيتشممه من أول جسده إلى آخره ، فإذا لم يبق منه موضعاً إلا شمّه ، شال إحدى قوائمه فوضعه عليه ففسخه ، فإذا علم أنه قد تلف ، قصد إلى آخر ففعل به مثل فعله بالأول ، إلى

أن لم يبق غيري ، وأنا جالس منتصب أشاهد ما جرى وأستغفر الله - عز وجل - وأصبح .

فقصدني الفيل ، فحين قرب مني ، رميت بنفسى على ظهري ففعل بي مثل الشم كما فعل بأصحابي ، ثم عاد فشمني دفعتين أو ثلاثاً ، ولم يكن فعل ذلك بأحد منهم غيري ، وروحي في خلال ذلك تكاد تخرج فرعاً ، ثم لفّ خرطومہ عليّ وشالني في الهواء ، فظننته يريد قتلي ، فجهرت بالاستغفار ، ثم لفّني بخرطومہ فجعلني فوق ظهره ، فانتصبت جالساً ، واجتهدت في حفظ نفسي بموضعي .

وانطلق الفيل ، يهرول تارة ، ويسعى تارة ، وأنا تارة أحمد الله تعالى على تأخير الأجل وأطمع في الحياة ، وتارة أتوقّع أن يشور بي فيقتلني ، فأعاود الاستغفار ، وأنا أقاسي خلال ذلك من الألم والجزع لشدة سرعة سعي الفيل أمراً عظيماً ، فلم أزل على ذلك ، إلى أن طلع الفجر وانتشر ضوءه ، فإذا به قد لفّ خرطومہ عليّ .

فقلت : قد دنا الأجل وحضر الموت ، وأكثرت من الاستغفار .

فإذا به قد أنزلني عن ظهره برفق ، وتركني على الأرض ، ورجع إلى الطريق التي جاء منها وأنا لا أصدق ، فلما غاب عني حتى لا أسمع حساً ، خرت ساجداً لله تعالى ، فما رفعت رأسي حتى أحسست بالشمس ، فإذا أنا على محجة عظيمة ، فمشيت نحو فرسخين ، فأنتهيت إلى بلد كبير فدخلته ، فعجب أهله مني ، وسألوني عن قصتي ، فأخبرتهم بها ، فزعموا أن الفيل قد سار بي في تلك الليلة مسيرة أيام واستطروا سلامتي .

فأقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشدة التي قاسيتها ، وتندي
بدني ، ثم سرت عنهم مع التجار ، فركبت في مركب ، ورزقني الله السلامة ،
إلى أن عدت إلى بلدي ^(١) .



(١) تنوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، ١٢٧/٣ .

[٤٢] نهاية مؤسفة

١ - مات فى الحمام ويده سجارة !!

شاب فى الخامسة والعشرين من عمره ... ابتلى بشرب الدخان لعدة سنوات ... وذات يوم أدخل المستشفى بسبب ألم مفاجئ ، وهو هبوط فى القلب .. ووضع عدة أيام بغرفة العناية المركزة تحت مراقبة الأجهزة الطبية المتطورة .. حيث أن الطبيب المشرف على علاجه أصدر أوامره لهيئة التمريض بعدم إدخال الدخان للمذكور لأنه السبب الرئيسى لمرضه ... وتفتيش الزوار خوفاً من تسلل الدخان له خفية .. تحسنت صحته وبدأ يستعيد نشاطه .. إلا أنه لم يتقيد أخيراً بتعليمات الطبيب حيث عاد إلى التدخين ..

وفى أحد الأيام قُتِلَ هذا الشاب .. فبحثوا عنه فوجدوه فى أحد الحمامات وقد فارق الحياة « ويده سجارة » .. إنها نهاية مؤسفة نسوقها إلى كل مدخن عله أن يتوب إلى الله من هذا السم القاتل ويقطع عن التدخين .

٢ - أنا القاتل وأنا القتيل :

وقفت أمام القاضى - التهمة الموجه أم اشتركت مع ابنتها فى قتل ابنها - يقول القاضى : لماذا قتلت ابنك ؟ فلا تنطق بحرف حتى طال الصمت ، فقالت وهى تبكى وتتجرع الآلام « هو ابنى الوحيد مات أبوه عنه وعن اخته ، ثم سلك طريق الهاوية المظلمة ليضع نفسه بين فكي الشيطان يأخذ المال ويسرقه كل هذا بسبب وقوعه فى الدخان العفن ، ثم وقع بعدها بالسموم القاتلة ، تزوجت أخته ، وصرت وإياه وحدنا فى البيت ، ليته اكتفى بضربى وأخذ المال منى بقوة ، بل فى ليلة موحشة كوجهه ، جاء ليهتك عرضى ، وأنا أمه وبقدرة

قادر هربت منه وذهبت إلى ابنتي وزوجها وطرقت الباب في وقت متأخر لتصرخ ابنتي « ما الذى مزق ثيابك ؟ » دخلت عندها وتركت له البيت فباع أثاثه وبعد شهر جاءت ابنتي إلى البيت فإذا هو جحيم لا يطاق وأخذنا فى تنظيفه حتى تعبنا فمنا فيه ، فقممت على صرخة حفيدتى الصغيرة والوحش يقودها إلى غرفة ليفعل بها الفاحشة ، فقممت مسرعة إلى السكين وقتلته ضربة تلوى الأخرى ثم بكى وقالت : نعم قتلته إبنى القاتلة ، وأنا القتيلة ، أنا القاتلة ، أنا القاتلة وأنا القاتلة ، أنا السكين وأنا الجرح أنا المقتولة ، أنا . أنا . أنا .



﴿ ٤٣ ﴾ قصة ابن صياد ^(١)

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ في رهط من أصحابه قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان في أطم ^(٢) ، بنى مغالة ^(٣) ، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم ، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده ، ثم قال :

« أتشهد أني رسول الله ﷺ ؟ » .

فنظر إليه فقال : أشهد أنك رسول الأمين ، ثم قال ابن صياد : أتشهد أني رسول الله ؟ .

فرضه ^(٤) النبي ﷺ ثم قال : آمنت بالله ورسوله ثم قال لابن الصياد : « ماذا ترى ؟ » قال : يأتيني صادق وكاذب ، قال رسول الله ﷺ : « خلط الأمر عليه » .

قال رسول الله ﷺ : « إني خبأت لك خبيئاً » ^(٥) .

فقال ابن صياد : هو الدخ .

(١) قصص النبي ﷺ ج ٥ لفتحى الخولى .

(٢) ، (٣) الأطم : الحصن ، جمعه أطام ، وبنو مغالة : بطن من الأنصار ، وقيل : بنو مغالة : كل ما كان على يمينك إذا وقفت آخر البلاط ، مستقبل مسجد رسول الله ﷺ .

(٤) فرضه : بالصاد المعجمة التي معناها الكسر ، قال الخطابي : هو غلط ، والصواب : فرضه بالصاد غير معجمة أى : تناوله فضغطة حتى ضم بعضه إلى بعض ومنه رص البناء ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كَانَهُمْ بَيِّنَاتٌ مَّرْصُومٌ ﴾ الصنف : ٤ . وقيل فضله أى ترك سؤاله الإسلام ليأسه فيه حينئذ ، ثم شرع في سؤاله عما يرى .

(٥) كان قد خبأ يوم تأتى السماء بدخان مبين ، والدخ : الدخان .

قال رسول الله ﷺ : « احسأ ^(١) ، فلن تعدو قدرك » ^(٢) .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، أتأذن لي فيه أضرب عنقه ؟ .

قال رسول الله ﷺ : « إن يكن هو ، لا تسلط عليه ، وإن لم يكن هو ، فلا خير لك في قتله » ، قال ابن عمر : انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبى بن كعب الأنصاري يؤمان النخل التي فيها ابن صياد ، حتى إذا دخل رسول الله ﷺ طفق رسول الله ﷺ يتقي بجذوع النخل ، وهو يختل ^(٣) ، أن يسمع من ابن صياد شيئاً ، قبل أن يراه ، وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة له فيها رمرمة ، أو زمزمة ^(٤) ، فرأت أم ابن صياد النبي ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل فقالت لابن صياد : أي صاف ، وهو اسمه ، هذا محمد فتناهى ابن صياد . قال رسول الله ﷺ : « لو تركته بين ! » ^(٥) .

فقام رسول الله ﷺ في الناس ، فأتى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : « إني أنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه ، لقد أنذره نوح قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه : تعلمون أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور » ^(٦) .

(١) احسأ : زجر للكلب وإبعاد له ، هذا أصل الكلمة ، واستعملتها العرب في كل من قال أو فعل ما لا ينبغي له مما يسخط الله .

(٢) قال الخطابي : يحتمل وجهين : أحدهما : يريد أنه لا يبلغ قدره أن يطالب الغيب من قبل الوحي الذي يوحى به إلى الأنبياء ، ولا من قبل الإلهام الذي يلقي في روح الأولياء ، وإنما كان الذي جرى على لسانه شيئاً ألقاه الشيطان حين سمع النبي ﷺ يراجع به أصحابه قبل دخول النخل ، والآخر : أي : لن تسبق قدر الله فيك ، وفي أمرك .

(٣) أي يطلب أن يأتيه من حيث لا يعلم ، فيسمع ما يقول في خلوته ، ومنه : ختل الصيد : وهو أن يؤتى من حيث لا يشعر فيصاد .

(٤) بمعنى الحركة . (٥) أي : بين ما في نفسه .

(٦) حديث صحيح . أخرجه البخاري « ١٣٥٥ » ، « ٦١٧٣ » ، « ٦١٧٤ » ، ومسلم « ٢٩٣٠ » ، والترمذي وأحمد والطحاوي في مشكل الآثار ، والبخاري في شرح السنة .

فوائد وعظات القصة النبوية :

اختلف الناس فى أمر ابن صياد اختلافاً شديداً ، وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول ، وقد يسأل عن هذا ، فيقال : كيف يُقار رسول الله ﷺ رجلاً يدعى النبوة كاذباً ، ويتركه بالمدينة يسكنه فى داره ويجاوره فيها ، وما وجه امتحانه إياه بما خبأه له من آية الدخان ، وقوله بعد ذلك : « اخساً فلن تعدو قدرك ! » .

قال العلامة الخطابى :

الذى عندى فى هذه القصة أنها جرت معه أيام مهادنة رسول الله ﷺ اليهود وحلفائهم وذلك أنه بعد مقدمة المدينة كتب بينه وبينهم كتاباً صالحهم فيه على أن لا يهاجوا ، وأن يتركوا على أمرهم ، وكان ابن الصياد منهم ، أو دخيلاً فى جملتهم ، وكان يبلغ رسول الله ﷺ خبره وما يدعيه من الكهانة ، ويتعاطاه من الغيب ، فامتنحوه بذلك ليروا به أمره ويخبر به شأنه فلما كلمه علم أنه مبطل وأنه من جملة السحرة أو الكهنة أو ممن يأتية رضى من الجن ، أو يتعهده شيطان ، فيلقى على لسانه بعض ما يتكلم به ، فلما سمع منه قوله « الدخ » زجره فقال : اخساً فلن تعدو قدرك .

يريد أن ذلك شئ ألقاه إليه الشيطان ، وأجراه على لسانه وليس ذلك من قبل الوحي السماوى ، إذا لم يكن له قدر الأنبياء الذين يلهمون العلم ، ، ويصيبون بنور قلوبهم الحق ، وإنما كانت له تارات يصيب فى بعضها ويخطئ فى بعضها ، وذلك معنى قوله : « يأتينى صادق وكاذب » فقال له عند ذلك : « خلط عليك » فالجملة من أمره أنه كان فتنة قد امتحن الله به عباده المؤمنين ، ليهلك من هلك عن بينة ، وقد امتحن قوم موسى عليه الصلاة والسلام فى زمانه بالعجل فاقتتن به قوم وأهلكوا ، ونجا من هداه الله وعصمه

منهم .. وقد اختلفت الراويات في أمره وفيما كان من شأنه بعد كبره ، فروى أنه قد تاب عن ذلك القول ثم إنه مات بالمدينة ، وإنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس وقيل لهم : اشهدوا ^(١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعنا ابن الصياد فتنزلنا منزلاً فتفرق الناس ، وبتيت أنا وهو فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه تلك ، قال : وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي فقلت : إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة .

قال : ففعل ، فرفعت لنا غنم ، فانطلق فجاء بعس ^(٢) ، فقال : اشرب أبا سعيد ، فقلت : إن الحر شديد واللبن حار ، ما بى إلا أنى أكره أن أشرب عن يده ، أو قال : آخذ عن يده .

فقال : أبا سعيد ، لقد هممت أن آخذ حبلاً فأعلقه بشجرة ثم أختنق مما يقول لى الناس .

يا أبا سعيد من خفى عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفى عليكم معشر الأنصار ، ألسنت من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ ؟!

أليس قد قال رسول الله ﷺ : « هو كافر » وأنا مسلم ؟!! .

أوليس قد قال رسول الله ﷺ : « هو عقيم لا يولد له » وقد تركت ولدي بالمدينة ؟!! .

أوليس قد قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل المدينة ولا مكة » وقد أقبلت

(١) انظره شرح السنة ١٥ / ٧٤ .

(٢) العس : هو القدح الكبير ، وجمعه : عساس وأعساس .

من المدينة وأنا أريد مكة !!؟ .

قال أبو سعيد الخدري : حتى كدت أن أعذره ، ثم قال : أما والله إنني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن .

قال : قلت له : تباً لك ^(١) ، سائر اليوم ^(٢) .



(١) تباً لك : أى خسراً ومهلاً لك فى باقى اليوم .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم ٢٩٢٧ ، ، والبيهقى ٤٢٧٣ ، فى شرح السنة عن طريقه ، والترمذى ٢٣٤٧ .

٤٤ [دعاء واستجابة (١)]

تزوجت امرأة رجلاً يدعى إسماعيل ... وكان عالماً جليلاً ، درس على يد الإمام مالك .. وكان ثمرة هذا الزواج المبارك ، إنجاب طفل أسموه « محمداً » وما لبث أن مات زوجها « إسماعيل » تاركاً لها ولابنها الصغير مالا كثيراً ، فأخذت الأم تربي ابنها التربية الإسلامية المباركة ، ولعلها أرادت أن يكون عالماً من علماء المسلمين ، ولكن مع الأسف الشديد هناك إعاقة ، فإن ابنها ولد أكمه أى أعمى منذ صغره ، وعندما يكون أعمى فمن الصعوبة أن ينتقل من شيخ لشيخ ومن بلد لبلد طالباً للعلم ، وفتح الله عليها باب الدعاء فبدأت تدعو الله بإخلاص وبنية صادقة ، وفي إحدى الليالي ، وعندما كانت نائمة وإذا بها ترى في منامها الخليل إبراهيم عليه السلام يقول لها : يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك ... واستيقظت المرأة وإذا بها ترى ابنها مبصراً ، سبحانك يا ربنا يا من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء .

وبعد أن رد الله البصر لولدها « محمد بن إسماعيل » بدأت الأم توجهه لطلب العلم ، وفتح الله عليه ، فألف بعد ذلك كتاباً من أصح الكتب في هذه الدنيا بعد كتاب الله ، واسم الكتاب « صحيح البخارى » ، نعم إنه « محمد بن إسماعيل البخارى » ، الذى رزقه الله العلم وسعة الحفظ .

(١) مواقف إيمانية لنجيب العامر ، ينصرف واحتصار .

الزمن القادم ^(١)

اشتعل الرأس شيئاً ..
 ها قد شارفت على الخمسين ..
 على الرغم من عشقى للقراءة ..
 إلا أن الوقت أخذ يضيق بى ..
 أصبحت مباهج الدنيا تأخذ متعة القراءة منى ..
 هذا ابن قادم وذاك حفيد لا تمل رؤيته ..
 حياة تسير على ما أتمناه ..
 لا يكدر صفوها شىء .. نهاية يوم الخميس حانت ..
 بعد يوم طويل .. حافل بالزيارات والمرح ..
 ودعتُ أبنائي وبناتي وأحفادي ..
 صرخ هاجس فى داخلى ..
 هذه الدنيا عجب .. اجتماع وفرقة ..
 سيرحل الجميع .. وسيودعون ويودعون ..
 ستبقى وحيداً .. ما هذه الأفكار ..
 بسرعة .. تلفت يمنة ويسرة ..
 مجموعة من الكتيبات ذات الحجم الصغير دائماً تقع تحت نظري ..

(١) الزمن القادم ، ج ١ ، لعبد الله القاسم .

لاشك أن ابنتي الصغرى هي التي وضعتها ..

فهى تهديها إلى بين حين وآخر وتحثنى على قرائتها ..

كتاب أذكار الصباح والمساء ..

كتاب زاد المسلم اليومى ..

ماذا بعد ..

هنا كتيب صغير ..

لا يتجاوز أربع صفحات ..

لا يحتاج إلا لأربع دقائق قراءة ..

تناولته .. بسرعة استكملت قراءته ..

أصابنى الدوار ..

همهمت بصوت خافت ..

لا أُغسل ..

ولا أكفن ..

ولا يُصلّى عليّ ..

ولا أُدفن مع المسلمين ..

ماذا بعد ..

أنا ابن الخمسين ..

هكذا ستكون نهايتى ..

لا ..

بل هناك المزيد سأعيد لكم القراءة مرة أخرى ..

ولكن بالتفصيل ..

الكتاب بعنوان : حكم تارك الصلاة ^(١) .

خلاصته : أن تارك الصلاة كافر ..

خاطبت نفسي هل أنا كافر .. ؟

أبعد هذا العمر .. أوصف بذلك ..

صوت بعيد .. ولم لا !!؟ .

ألست تاركاً للصلاة ..

اسمع ما يترتب على تارك الصلاة من أحكام .

أولاً : أنه لا يصح أن يزوج ، فإن عقد له وهو لا يصلي ، فالنكاح باطل ، ولا تحل له الزوجة .

ثانياً : أنه إذا ترك الصلاة بعد أن عقد له فإن نكاحه يفسخ ، ولا تحل له الزوجة .

ثالثاً : أن هذا الرجل الذي لا يصلي إذا ذبح لا تؤكل ذبيحته ، لماذا ؟ .

لأنها حرام ولو ذبح يهودى أو نصرانى فذبيحته يحل لنا أن نأكلها .

رابعاً : أنه لا يحل له أن يدخل مكة أو حدود حرمة .

خامساً : أنه لو مات أحد من أقاربه فلا حق له فى الميراث .

سادساً : أنه إذا مات لا يُغسل ولا يُكفّن ولا يُصلّى عليه ، ولا يدفن مع

(١) لفضيلة الشيخ / محمد بن العثيمين .

المسلمين ، إذا ماذا يصنع به ؟ .

يخرج به إلى الصحراء ويحفر له ويدفن بشيابه لأنه لا حرمة له ، وعلى هذا فلا يحل لأحد مات عنده ميت وهو يعلم أنه لا يصلي أن يقدمه للمسلمين يصلون عليه .

عشت حلم الواقع ..

وضعت الكتاب جانباً ..

رفعت يدي إلى رأسي .. ضغطت عليه بقوة ..

سقطت شية ..

نظرت إليها .. أبعد هذا الشيب ؟! لا أغسل ولا أكفن ، ولا يصلي عليّ ..

هذه نهايتي .. هذا ما جمعته من الدنيا ..

الله .. كلمة خرجت بقوة من أعماق قلبي .. أهذه نهايتي ..

أين نحن غافلون .. فلا شك أنني مقصر .. بل ومفرط ولكن خمسون سنة .. ولا أجد ناصحاً يقول ذلك .. كيف ..

مسئولية من هذه ..

غسلت الزمن الرديء بدموع التوبة ..

عاهدت نفسي أن أكون ناصحاً لكل مخطيء .. نهضت قائماً ..

سيصلي عليّ .. وسأدفن إن شاء الله مع المسلمين .

﴿٤٦﴾ توبة في مرقص^(١)

قصة غريبة .. غريبة جداً .. ذكرها الشيخ / علي الطنطاوي في بعض كتبه
قال :

دخلت أحد مساجد مدينة « حلب » فوجدت شاباً يصلي فقلت - سبحان الله - إن هذا الشاب من أكثر الناس فساداً يشرب الخمر ويفعل الزنا ويأكل الربا وهو عاق لوالديه وقد طرده من البيت فما الذي جاء به إلى المسجد .. فاقتربت منه وسألته : أنت فلان ؟!! قال : نعم .. قلت : الحمد لله على هدايتك .. أخبرني كيف هداك الله ؟؟ قال : هدايتي كانت على يد شيخ وعظما في مرقص .. قلت مستغرباً .. في مرقص ؟!! قال : نعم .. في مرقص !! قلت : كيف ذلك ؟! قال : هذه هي القصة .. فأخذ يرويها فقال :

كان في حارتنا مسجد صغير .. يؤم الناس فيه شيخ كبير السن .. وذات يوم التفت الشيخ إلى المصلين وقال لهم : أين الناس ؟!! ... ما بال أكثر الناس وخاصة الشباب لا يقربون المسجد ولا يعرفونه ؟!! فأجابه المصلون : إنهم في المراقص والملاهي .. قال الشيخ : وما هي المراقص والملاهي ؟!! .. رد عليه أحد المصلين : المرقص صالة كبيرة فيها خشبة مرتفعة تصعد عليها الفتيات عاريات أو شبه عاريات يرقصن والناس حولهن ينظرون إليهن .. فقال الشيخ : والذين ينظرون إليهن من المسلمين ؟! قالوا : نعم .. قال : لا حول ولا قوة إلا بالله .. هيا بنا إلى تلك المراقص ننصح الناس .. قالوا له : يا شيخ .. أين أنت ..

(١) التائبون إلى الله ، للحازمي ، وقال : هذه القصة ذكرها الشيخ العوضي في درس به بعنوان : -
عض البصر - .

تعط الناس وتنصحهم .. فى المرقص ؟! قال : نعم .. حاولوا أن يشنوه عن عزمه وأخبروه أنهم سيواجهون بالسخرية والاستهزاء وسينالهم الأذى ، فقال : وهل نحن خير من محمد ﷺ !!؟ ، وأمسك الشيخ بيد أحد المصلين ليدله على المرقص .. وعندما وصلوا إليه سألهم صاحب المرقص : ماذا تريدون ؟!! قال الشيخ : أن ننصح من فى المرقص .. تعجب صاحب المرقص .. وأخذ يمعن النظر فيهم ورفض السماح لهم ، ... فأخذوا يساومونه ليأذن لهم حتى دفعوا له مبلغاً من المال يعادل دخله اليومى .

وافق صاحب المرقص .. وطلب منهم أن يحضروا فى الغد عند بدء العرض اليومى ...

قال الشاب : فلما كان الغد كنت موجوداً فى المرقص .. بدأ الرقص من إحدى الفتيات ... ولما انتهت أسدل الستار ثم فتح .. فإذا بشيخ وقور يجلس على كرسي فبدأ بالبسملة وحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ ، ثم بدأ فى وعظ الناس الذين أخذتهم الدهشة وتملكهم العجب وظنوا أن ما يرونه هو فقرة فكاهية .. فلما عرفوا أنهم أمام شيخ يعظهم أخذوا يسخرون منه ويرفعون أصواتهم بالضحك والاستهزاء وهو لا يبالى بهم .. واستمر فى نصحه ووعظه حتى قام أحد الحضور وأمرهم بالسكوت والإنصات حتى يسمعوا ما يقوله الشيخ .

قال : فبدأ السكون والهدوء يخيم على أنحاء المرقص حتى أصبحنا لا نسمع إلا صوت الشيخ ، فقال كلاماً ما سمعناه من قبل ... تلا علينا آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية وقصصاً لتوبة بعض الصالحين ، وكان مما قاله :

أيها الناس ..

إنكم عشتُم طويلاً وعصيتُم الله كثيراً .. فأين ذهبت لذة مُعصية ؟ لقد
ذهبت اللذة وبقيت الصحائف سوداء ستسألون عنها يوم القيامة ، وسيأتى يوم
يهلك فيه كل شيء إلا الله سبحانه وتعالى

أيها الناس ..

هل نظرتُم إلى أعمالكم .. إلى أين ستؤدِّي بكم ، إنكم لا تتحملون نار
الدنيا وهى جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم .. بادروا بالتوبة قبل فوات
الأوان .. قال : فبكى الناس جميعاً .. وخرج الشيخ من المرقص وخرج الجميع
وراءه وكانت توبتهم على يده حتى صاحب المرقص تاب وندم على ما كان
منه .



[٤٧] لقد شهدنا (١)

خرج التاجر الصالح من الموصل لبيع بعضاً من الأغنام والأبقار والإبل في حلب واستقر في أحد الفنادق حتى الصباح ، ثم خرج إلى سوق المواشى وعرض ما معه على تجار الجملة ، وبسر الله عليه بيعها وقبض ثمنها نقداً ، وفي طريق عودته ... خرج عليه لص خطير وقاطع طريق ، فسل خنجره وأخذ ما معه من مال .. واستغاث التاجر ولا مغيث فقد أراد اللص أن يذبحه بخنجره .. فتوسل التاجر إليه أن لا يقتله وليأخذ جميع ما يملك .. ولكن خنجر القاتل كان يعمل عمله في جسد التاجر حتى سقط جثة هامدة ... وكان التاجر في استغاثته وتوسله ينظر يميناً وشمالاً لعله يجد من يغيثه ، ويستجيب لتوسله ... ولكنه لم يجد أحداً من الناس ووجد فوق الشجر التي ذبح تحتها حمامتين ... فقال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة « أيتها الحمامتان : اشهدا ... » وقهقهه قاطع الطريق وهو ينهض عن فريسته بعد أن فارقت الحياة قائلاً : « أيتها الحمامتان : اشهدا » .

ومضى إلى سبيله وهو يضحك كأنه سمع نكتة تستحق القهقهه والضحك . وانتظر أولاد التاجر وأهله في الموصل عودة أبيهم من رحلته التجارية .. وطال انتظارهم دون جدوى .. وسافر ولده الأكبر إلى مدينة حلب ليسأل عن أبيه فقيل له : إن والده نزل في فندق كذا وباع أغنامه في اليوم الفلاني ، ووجد مقتولاً في اليوم الذي باع فيه ما معه ، ودفن في مقابر الغرباء وقتله وسالب

(١) تذاير القادر ، محمود شيت خطاب ، بتصرف واختصار .

أمواله مجهول ، ودق باب الوالي ، وباب القاضى وأبواب من يعرف من الناس ومن لا يعرف ، فكان جواب الجميع : القاتل السارق مجهول الهوية ، وبذل جهوداً كبيرة ليعرف شيئاً عن سر مقتل أبيه ، ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح ، وعاد الفتى إلى الموصل فطرق باب الوالي والقاضى يسألهما العون ، فكتبنا إلى والي حلب وقاضيهما فكان الجواب : القاتل السالب : مجهول الهوية .

وانتهت قضية التاجر القتل إلى باب مسدود ، فتقبل أولاده التعازى وأوكلوا قضيته إلى الله ... وتعاقت السنون وتبدل الولاة والقضاة مرات ونسى الناس قصة الاغتيال والسلب ونسوا القتل السليب ، ولكن رجلاً واحداً لم ينس تلك القضية : هو القاتل السالب ... ظل يذكرها وبخاصة حين يرى الحمام مرفرفاً أو على الشجر فيتخيل شبح القتل أمامه وهو ينادى « أيتها الحمامتان : اشهدا »

وفى يوم من الأيام لى دعوة من دعوات العشاء على مائدة أحد أقربائه ... وكانت الوليمة تضم أشتاتاً وألواناً من الناس ... ونظر إلى أطباق الطعام فوجد أمامه مباشرة طبقاً فيه حمامتان ... وحملق الرجل فيهما طويلاً وتذكر قصة القتل الذى استنجد بالحمامتين لتشهدا له ... فأطرق رأسه يستعيد تفاصيل جريمته ثم قهقه قهقهة لا إرادية يستعيد بها قهقهته الإرادية وهو يجهز على القتل ... كأنه نسى الوليمة والمدعويين ، ولفت بوجومه الطويل ثم قهقهته الطويلة المدعويين من حوله ، فليس هناك ما يدعو للضحك ، ولا حقته الأنظار المستغربة وبشكل لا إرادى تنهد طويلاً ثم انطلق يحدث من حوله قصة المنكوب القتل كأن قوة خفية قاهرة تحرك لسانه بشكل لا إرادى ، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا وأفشاها للحاضرين ، ولم يكذب يتم حديثه إلا وشعر بأن عبثاً ثقيلاً قد

تخلي عنه ، ولكن حديثه أذهل الحاضرين ... وثاب إلى رشفه وندم على إفشاء سره ، ولكن بعد فوات الألوان ... وأصبحت القصة بعد ساعات من إذاعتها حديث المجالس في كل مكان من مدينة حلب ... وسمعها والي حلب .. فأمر بتوقيف المتهم على ذمة التحقيق ، وأمر قائد الشرطة أن يبدأ التحقيق الرسمي فاستقدم الذين سمعوا القصة من المتهم مباشرة وهم على مائدة العشاء فسجل أقوال الشهود ، واستدعى قائد الشرطة المتهم وأطلعهم على أقوال الشهود فانهار المتهم واعترف بجريمته النكراء ، وأحيلت أوراق القاتل إلى قاضى المدينة فحكم عليه بالإعدام شقاً حتى الموت .

وقال والي المدينة : لقد شهدنا ... وقال قاضى المدينة : لقد شهدنا ..

وقال قائد الشرطة : لقد شهدنا ... وقال الناس : لقد شهدنا ..

وفى ليلة تنفيذ الإعدام بالقاتل سألت زوجته : كيف أبحت بسررك المكنون بعد أن كتمته سنين طويلة ، فكان جوابه : « إن إرادة قاهرة شلت إرادتى وأجبرتني على الكلام » ، وفى فجر اليوم التالى اقتيد القاتل السالب إلى ساحة الإعدام ، وهمهم حين وضع الجبل حول عنقه « لم أتكلم بلساني ، بل بلسان الحمامتين اللتين كانتا فى الطبق المستقر أمامى فى دعوة العشاء » ، واجتمعت حشود الناس حول جثة المصلوب وهى تهزج فرحة بإنقاذ المجتمع من مجرم شرير ... وفجأة انقلب هزيج الحشود الضخمة إلى تهليل وتكبير ، فقد استقرت حمامتان فوق رأس المصلوب لا تتحركان ... وهدرت الحشود بصوت واحد : لقد شهدنا ... عجزت عدالة الأرض عن اكتشاف سر القتل فبقى القاتل طليقاً سنين طويلة ولكن عدالة الله كانت للقاتل بالمرصاد فكشفت سره وساقته إلى القضاء ، وأمهلته الله ساعة ولكن لم يمهلها إلى قيام الساعة ... وشهدت الحمامتان فساقته شهادتهما إلى مصيره المحتوم .